

ناصر قنديل

حديث الجمعة يحتلّه هذا الأسبوع، مرور سنة على حشد الأساطيل الأميركية للحرب على سورية، وقضية السلاح الكيماوي، بين ذكر إن تنفع الذكري كما الصباحات للجيش والمقاومات التي استعدّت للحرب الآتية، ومختصر مفيد في قوانين الحرب وترميم الجيوش والتوازن الاستراتيجي، ورياضيات الكلام عن الفرد ككائن اجتماعي في صنع السعادة بين البسمة والبصمة، وقالت له ملكة نحل لا تنام.

صباحات

صباح الخير لرجال الله والبلد لنصر الله والأسد

كُتبت قبل سنة لصباح الحرب الموعودة يوم كانت الأساطيل تحتشد في البحر وكانت سورية جيشاً وشعباً تستعد للنزال. وكانت المقاومة تجهّز استشهادييها للقتال. فلمن يتساءل عن اليوم ومخاطر الحرب، هذه الصباحات، صباح الخير.

صباح الخير للحظة الحاسمة ويريدوننا أن نغرق في حال الترقب والانتظار صباح الخير للجيش الأسود يعد ويتسعد ولا ينتظر، وقد اتقن أمرأ وحيداً هو الانتصار صباح الخير لأعصاب فولاذ وجليل لا يتعبها ولا يربعيها تهديد أو وعيد ولا تقع في فخ التوقعات والتساؤلات ولطمنونا ماذا سيحدث وهل ما نسمع صحيح صباح الخير للقرار الصحيح والتنفيذ الصحيح والحرب ليست لعب كلام ولا تصريح هم تحدثوا عن الحرب من كبارهم لصغارهم هم قالوا إن لا يد من فعل أمرأ هم قالوا الآن الأوان

حسنان نشغل أنفسنا بالتساؤل ول هذا مرادهم أن تقع بالانتظارات لنودخ وأن نحني رقبتنا طويلاً بانتظار سقوط الصاروخ سنقتلع أكتابهم إن تجرّأوا ملوكا وشيوخ لن ننظر ولن ننبره ولا استهتار ولا من يستهتر سنستعدوا عن الحرب من كافة الكلام عن ضربة لعبة تافهة تتوزع الرجال وتستعد للقتال وتشر الصواريخ ويستنفر المقاومون وبنوك الاهداف جاهزة وكلمة السرّ قاسيون وكلمة الرّد جاهزون وكلمة الصدى يا قدس قادمون لا نبضنا يرتفع

وقبل من زمان من للانتظار نبضه ارتفعأمكن تحفّز لأن يصفعا هنا حال من فرعا

أما نحن ففي جدول أعمال يومنا ماضون لن نتغير ساعاتنا ولا اهتمامتنا وإفطارنا وغداؤنا والعشاء

وسهرات المساء وضحكات الصباح وفناجين القهوة سنقفي يهدوء ننتظر الركوة ونسرع فيروز طفلا وشيخا وعجوز ندعو للشباب بالنصر المبين والنصر عندنا يقين

يقولون بكل ارتباك أنهم لا يريدونها حربياً ولا تغيير النظام فنقول كل طرفة أو صاروخ هي حرب مفتوحة وانتهى عندنا حبل الكلام

يقولون نريدها ضربة محسوبة فنقول لهم هاتوا غيرها هذه ملعوبة ليست مهمتنا أن نحفظ ماء وجه أوباما ولا أن نجد له المخارج مهمتنا كيف يكون أهلناكراما ومن علقط طائرته في السماء فليحبث عند غيرنا عن مدارج وليفهموها بالفصحى والعربي الدارج لحننا لا يوكّل بتهوين العدوان ليصير اسمه ضربة فنتجّع الهوان ويفرح عدونا بحربه فالطلة الواحدة إعلان حرب شاملة والصاروخ يستدعي إفراغ جيبتنا من أهدافها كاملة اسمعوننا جيذا

نحن الشعب المقاوم نحن من لا يساوم قائدنا أسد وقائدنا سيّد وقرارنا قد حسم فليكن أن تعيد في رأس صفحة الرد سيكون الملوك العرب من بقي منهم ومن هرب وفي القائمة ستكون عواصم تتلقى الرّد الحاسم وفي وسطها سيكون الصاروخ الحبيب مخصّص لدتل أبيب» بوراچكم ستحترق و طائراتكم في الفضاء احسبوها طائرة طائرة ستصير خرقة متناثرة و جيوشكم إن جثم بتم من أي صوب أو حدود فرقا ستحملونها على ظهوركم تحصون أشلاء الجنود هذا عهدنا لمةٔ عام لن نهبون أو نمل أو ننام أنتم دول وحكومات بلا ناكرة تنسون أننا عرفناكم قبل ثلاثين عاما وماكان فينا سيّدنا إماما وكان النزال وكانت نيو جيرسي وحملات الطائرات والمدمّرات ومحلّمنا أتكلم ورحلتم وستعيدون الكرة مرّات ومرّات لن ترون منّا وأنتم تعتدون سلاما ولن تكون لنهاية الحرب صافرة ستضربون حسنا وماذا بعد

سيتشهد العادة أطفال ونساء ويزيد عدد ضحايا حروبكم من الأبرياء وماذا بعد

أن تستسلم ونصير عبيدكم محال محال محال أن نصير صندوق بريدكم ما فوق الاحتمال أن يصير الرجال الرجال بريدا لمسيحكم الدجّال أو أعور الدجّال أو الدجّال ابن الدجّال

إنّ ماذا بعد اليوم والغد وما بعد الغد وبعد الغد الأرض أرضنا ... سنقاتل

سنفتني من ترافنون عليهم كدود الأرض عندما تتفتح السنايل وماذا بعد

بعد أن تسجّلوا في مذكراتكم وأن تضعوا في حساباتكم أنه وقت يجد الجّد ليس خصمكم الأسد بل غاب الأسود

احسبوها قبل أن تقعوا في كمين التاريخ والجغرافيا وتلقّوها لعبة المافيا قبل أن تلعبوا اللعبة الوجود قبل أن تتخطوا الحدود قبل أن تضعفوا الرزّ لمرّة وتضع عليكم الأزار ففجأجا،اتكم نحن ونحن نحن الأسرار سنخرج لكم من بين ضلوعكم فافتحوا عن صدوركم الأزار ستمرّق أطاقرنا وجوهكم وتجهشون بالبكاء سيختلط عليكم الليل والنهار وتضحك منكم السماء والشمس والقمر يقاتلكم البشر والحجر والماء والنساء والطير لن تجدوا من يحمل لكم الخبر ولا من يقول لكم صباح الخير منّا ولنا منذورة صباحاتنا للجنود الإبطال... للمقاومين الرجال للرجال الرجال... للبلد لرجال الله... للاسد... لنصر الله صباح الخير

البناء



ذکر إن تنفع الذكري

الامي أولاً، وتنسيق ردّأممي على من تثبت إدانته في تحقيق من هذا النوع.
– الواضح أن تأخر واشنطن لطرح العمل العسكري ليس عائداً إلى تحسبن ظروفه ولا تحسبن ظروف حلفائها، ولا هو نتيجة لتغيير معادلات منعت من قبل. بل هو حصراً لتهاوي الخيارات التي كانت واشنطن تنق بفاعليتها وقدرتها على الحفاظ على معادلة توازن عسكري يفرض عقد جنيف لصناعة تسوية سياسية لها فيها مكانة مميزة وتحفظ فوق ماء الوجه المصالح.

– الواضح أن السبب الوحيد، يتمثل في أن الهزيمة العارية قائمة إذا بقي كل شيء يسير كما كان قبل الهبة الأميركية العسكرية، وهي هزيمة لا يمكن تحمّل نتيجتها بسوء على الهيئة الأميركية كقوة لا تزال تتصرف باعتبارها القوة الأولى المقررة في العالم، وصولاً إلى مستقبل حلفائها في تركيا والخليج بعدما تكلفت بهم التطورات في مصر وتتهيأ لإطاحتهم في تونس وغيرها.

– الواضح أن واشنطن صارت فجأة عارية مع تهاوي حلف الحرب الإقليمي وبقاء جماعة القاعدة وحدهم كجيش يقاتل في سورية يضعها أمام خيار واحد هو القول بتعويم نظام الرئيس بشار الأسد والاعتراف بشرعية نصره واعتماده حليفاً محورياً في الحرب على الإرهاب. وإلا استخدام القاعدة بواسطة بندر بن سلطان لاستنزاف الجيش السوري وحزب الله والبيهتئين الشعبيتين المساندتين لهما. وجاءت معارك القصير وريف اللاذقية لتكشّف محدودية قدرة القاعدة على ما سمته واشنطن إعادة التوازن، وبدأ أنّ الجيش السوري يطلق هجوماً معاكساً يغيّر المعادلة في ريف دمشق وحمص وحماة، وبالتالي يكون باستطاعته مواصلة حربه حتى القول إما جنيف بشرطنا أو لا حاجة لجنيف.

– الهزيمة الأميركية هنا هي هزيمة أمام موسكو وبكين وطهران ودمشق معاً، ولذلك الهزيمة مكلفة فهل الخيار العسكري مكلف مثلها؟

– استبعد الخيار العسكري من قبل لأن كلفته أعلى من هدف غير قابل للتحقيق هو إسقاط النظام وأعلى من إنصاح سورية لتفاوض تتكلل التحالفات الإقليمية الداعمة للمعارضة السورية بتحقيقه. أما اليوم فلم يبق سوى استحضار الخيار العسكري وإلا الهزيمة الكاملة وتدابعتها التي لا تحتمل.

– ما يهم واشنطن اليوم صار أبعد من مجرد إعادة التوازن إلى الميدان السوري بحضورها المباشر على خط التدخل. وهو هدف حساس ومهم لها، لكن الأهم استعادة قدرة ردع يبدو لها أنها تأكلت لحدّ لا يبقّيها قوة عالمية تدير العالم وتمك سلطنة تجعل عدم التجارب مع طلباتها خسارة لا يمكن احتمالها.

– الخوف من الحرب والقلق من الهزيمة جعلا الضربة المحسوبة فرضية عسكرية أميركية يجري جس النبض لإمكانية سلوكها كطريق لاستعادة قدرة الردع وإعادة التوازن العسكري في سورية معها، ووصولاً إلى التفاوض بالواجهة المفتوحة.

– الواضح أنّ قدرات سورية وقرارها هما عدم فتح الباب للعبة تسويق الضربة المحسوبة وتحملها لمساعدة واشنطن على حل أزمتها ولا لا تبدو موسكو وطهران بعينيتين عن هذا القرار، فيما ذهب نهب حزب الله إلى الاستعداد لحرب حقيقية.

– تضيق هوامش واشنطن ويضيق الوقت وعليها إما التراجع عن الخيار العسكري وإما المضي به وهي تعلم أنه بوابة الحرب المفتوحة.

– المخرج الوحيد من المأزق أن تستندج واشنطن بموسكو لإيجاد مخرج العودة عن التصعيد، بداعي الحصول على ضمانات بتحويل قضية الكيماوي إلى المحكمة الجنائية الدولية إذا خلص التحقيق لاتهام الدولة السورية باستعمال الكيماوي.

– موسكو لا تبدو متحمسة وواشنطن تتخبط، وإن ذهبت إلى التورط فهي ستدفع أثمناً عالية وعليها الاكتفاء بالتصعيد وصرف عائداته بما تيسر في السياسة بتسريع جنيف، أو التشاور مع موسكو لتحويله مؤتمراً للشرق الأوسط والسلام فيه ومن ضمنه ملف سورية وملف إيران والسلام العربي، «الإسرائيلي».

– هل تحارب واشنطن؟

– الجنون وحده يقول ذلك، وسيكون جنوناً بلا سوابق مشابهة إلا إذا تحول مندخلاً للتسويات تحت مظلة الأمن بقرار يعقب الصلية الأولى والردود الموجهة عليها، وتشتكر هي إصداره والالتزام بوقف النار على أساسه.



مختصر مفيد

قائده على يد المقاومين.

– انشأت المقاومة في غرّة عقربية حربها، بابتكار الانفاق وتطويرها من أداة نقل البضائع والسلاح في زمن إغلاق المعابر وتضيقها، بتحويلها إلى سمرات وغرف عمليات ومنصات للتصوير، وصارت طرقاً بديلة لبلوغ وغرف جيش الاحتلال بعيداً عن رقابته ونظره، وابتكر التصنيع الصاروخي في مدن تحت الأرض، لا تتوقف على رغب الحرب، فصارت حرب الاستنزاف حربها، وأسقطت بهذين الابتكارين القبة الحديدية والوية التخبة وصولاً إلى تهجير مستوطنات جوار غرّة.

– يظهر الرئيس بشار الاسد كأهمّ قادة الحروب المعاصرة، فقد أحسن استخدام السلاح الكيماوي، وفقاً لقاعدة أنّ الأسلحة تمتلكها لنستخدمها في تحسين وضع جيوشنا الاستراتيجي، والسلاح الكيماوي سلاح تقاوضي أو ردعي وليس سلاحاً قتالياً، فاستخدم خيز استخدام في ردع الحرب والتفاوض، وبالمقابل تجاسر وكسر معادلات «سايكس بيكو» بفتح الباب للمقاومة اللبنيانية ومناصريها من العراق بضرب خط الحدود من الجيئين العراقية واللبنانية، لمساندة الجيش السوري وصناعة الانتصارات معه.

– سيكتب للرئيس بشار الأسد ابتكار التوازن الاستراتيجي السلبلي، سواء بمعادلة الكيماوي مقابل الحرب، أو معادلة الإرهاب الذي يليتموه لقتالنا سميضم حكم الأول، وسبب افتتاحكم علينا، بتكفينا الصمود حتى نسمعون صراخكم بأنّأدكم. – إدخال القدرة على بذل الدماء مكافأة لقوة النيران كانت ابتكار سيد المقاومة في حرب تموز وحققت النصر وغيّرت قواعد الحرب. وابتكار الرّجّ بعد التموز وتاريخها في التفاعل بين المكونات الحضارية، يعود للرئيس بشار الأسد بإسقاط الرهان على نجاح التطرف والفتن بالفقته بالوحدة الوطنية للسوريين، ليصير النموذج السوري شعبياً وجيشاً وصفة حصريّة لمكافحة الإرهاب «الداعشي» الذي يرعب العالم.

قالت له

قالت له: سأتّيك على تشاؤب من إغفاءة الصباح تركتها لأجلك. فقال لها: ملكة النحل تمضي وقتها طوال السنة نائمة، ولا تصحو إلا لتطلق سباقاً بين الذكور، لمن يلحقها طلباً لقبلة الموت، فدعيني خارج السباق.

فقالت: ستصيبك الغيرة وسومها أقوى.

فقال: لذلك بدّلت تذكرتي في قطارك من درجة حبيب إلى درجة صديق.

فقالت: إنّأ،أنت تختار الدرجة المعقّلة للصيانة، وتترك مكانك المرموق الذي اخترتك له حكماً في السباق.

فمضى وهو يتمتم... هذا سباق التهلكة وهو لا يحتاج إلى حكم، فالفاشلون سيتساقطون تباعاً ويبقى الفائز الأخير مفروراً بفوزه. وهو ليس لإطعماً لقبلة الموت.

قبل سنة بالتمام والكمال، كان قرع طبول الحرب على سورية قد بلغ مداه، والكل يجمع على أنّ الحرب آتية لا ريب فيها. وكنت أرى أنّ الحرب وراءنا، وأن صراخ واشنطن يبحث عن تسوية عنوانها السلاح الكيماوي مثل تحويل استخدامه إلى المحكمة الجنائية الدولية. وموسكو ترفض في المفاوضات السرية، وصولاً إلى ما حدث فعلاً بعد أيام بطرح موسكو ودمشق مشروع تسليم الكيماوي للأمم المتحدة، بإعلان انضمام سورية إلى منظمة حظر انتشار السلاح الكيماوي، ورسم سيناريو يقوم على مبادرة واشنطن لطلب ذلك ليبدأ مسار جديد وهذا ما كان. في هذا المقال قبل سنة كنت حاسماً برفض فكرة الحرب، وكنت متأكداً أنّ تسوية ما لا بد أن تولد. الأهم، أنّ الثقة ناجمة عن قراءة توازنات لا تكسر تجعل الحرب على سورية استحالة، وهذه فائدة إعادة القراءة اليوم بعين الأمس، لأن البعض عاد يتحدث عن حرب على سورية تحت مظلة ضربات على «داعش».

2013/8/28

قدرة الردع الأميركية

عندما أعلنت واشنطن السلاح الكيماوي عنواناً لها أسمته «الخط الأحمر»، كانت تترك أن في دها تصنيع ملف سوري اسمه الخطر على السلاح الكيماوي أو منه. كخيار احتياطي يشكل عنوان التدخل العسكري إذا وجدت أن ظروفه أو ضروراته قد نضجت.

– حسابات الحرب الأميركية على سورية أجريت منذ البدايات في محاولة لتكرار النموذج الليبي، وكان الرهان على الغطاء العربي أنّ يعهد الطريق وأن يذلل العقبة الروسية. الصينية التي لم يكن الحساب الأميركي قد وصل حدّ توقع بلوغها للجوء إلى الفيتو.

– حسبت الحرب من خارج مجلس الأمن وتدابعتها، خصوصاً النتائج المترتبة على دخول إيران وحزب الله على خط الحرب طالما أن كل الكلام الأميركي المعلن يقول إن أحد أهم نتائج سقوط سورية، تقليم أطاقرهما، وقد أسهب باراك أوباما في ما نشرته الصحافة العربية عن حواره مع نتنياهو، في شرح أسباب صرف النظر عن خيار الحرب. وجاء إقضاء الثلاثي باينيتا وكلينتون وبتريوس من مآقم الإدارة تعبيراً عن اليقين بلا جدوى ومخاطر الذهاب إلى الحرب.

– إذن، ماذا تريد واشنطن من استحضار الكيماوي وصعود سلم الحرب؟

– بعد الحملة الإعلامية والسياسية والديبلوماسية المكثفة التي قادتها واشنطن ومن خلفها جرت الدول التي شاركت في اجتماع قادة الجيوش في عمان، وتداولت سيناريوات عدة منها منطقة حظر جوي ومنها تقدم بري عبر الأردن وسط ضربات جوية وصاروخية. واستحضر نموذج كوسوفو، وكان السؤال إذا كان هذا ممكناً فلماذا لم يتمّ قبل سنة وكانت المناخات أفضل عندما كانت تركيا في حالة صعود وكانت قطر في نزوة أمجادها وكانت مصر في قبضة الأخوان المسلمين وكانت المعارضة السورية بعد تفجير الأمن القومي وسقوط كبار الضباط السوريين شهداء والجيش مرتبك للوهلة الأولى؟

– الأسباب التي حالت يومذاك دون الحرب لاتزال قائمة فماذا إنن؟

– بعدما انفتحت واشنطن يومين كاملين لتسويق جديتها بالذهاب إلى الحرب، عادت لتتفق يومين كاملين في الترويج لمصلطح جديد، هو أن ما نتحدث عنه هو ضربة محسوبة ومحدودة عقاباً على استخدام الكيماوي، ولسنا بصددحرب ولا تغيير النظام.

– الكيماوي كعموان تستخدمه واشنطن لكنه يجرحها، فالعنوان يستدعي منها انتظار نتائج التحقيق

– يتداخل السياسي بالعسكري والشعبي والمعنوي بالمعادي،

في فهم النصر والهزيمة بعد كل حرب، فزمن الانتصارات القائمة على إبادة جيش العدو في منطقة مفتوحة واستسلام قاداته قد ولّى، كما ولّى زمن النصر الواضح الحاسم في الحروب الحديثة فتعبد رصف الحجارة والانسحاب الأميركي المهين منها. وصار للنصر والهزيمة علاقة بمعادلات ترسم حدودها معايير علم حاسمة في الاستراتيجية وليس مجرد فرضيات عارمة.

– الحرب فعل تقوم به الجيوش، والجيوش قوة استراتيجية للدول، والقيمة الاستراتيجية للجيوش لا تتحدد بسلاحها ومالها وعادتها وعديدها ومعنوياتها، كقوة صافية، بل بما يوفره كل ذلك لصاحب القرار وصانعه من قدرة على اتخاذ قرار حرب. فجيوش الخليج كلها بقيمة استراتيجية صفر لأنها على رغم كل ما تملك من سلاح ومال وعتاد، لا تمكّن صاحب قرارها من الذهاب إلى حرب.

– يقاس النصر والهزيمة بعد كل حرب بتأثيرهما على القيمة الاستراتيجية للجيوش التي خاضتها، فهل زاداً أن انقصا مما يوفرها من فرص للذهاب إلى الحرب. والجيش الذي يخرج برفض قدرة الذهاب إلى الحرب أضعف مما كان قبل الحرب مهزوم، والجيش الذي تتسع فرص قدرته الذهاب لحرب جديدة بعد آخر حروبه يكون قد خرج منتصراً.

– الجيش الأميركي هزم في العراق لأنه خرج برفض أقل يوم واحد من مصانع دباباته وأسلحته، والجيش «الإسرائيلي» خرج من حرب تموز 2006 مهزوماً، لأنه خرج برفض أقل للقدرة على خوض حرب جديدة، على رغم أنّ خسائره البشرية والمادية لا تقارن بخسائر لبنان.

– الجيش «الإسرائيلي» خرج بما هو أسوأ من الهزيمة من حرب غرّة، لأنه خرج من حساب الحروب بعدها، فهو أعجز عن تكرار الحرب نفسها، وكل ما عداها من حروب مفترضة أشد

رياضيات في الكلام

الحياة بسمة بلمح البصير وبصمة على وسع النظر.من يتوقع السعادة سعياً إلى إبتساماتها دهرأ، يمضي أيامه في الحيرة، ويندب السعادة، ويشكك في كل خياراته، ويحزن لمروق سنينيه وأيامه، ويكثر البكاء على الأقدار، لأنه أضاع البصمة، ولم يجب مبكراً عن سؤال. إذا كان الإنسان لا يسعد منفرداً فالسعادة فعل اجتماعي، سواء بالنشاط الاقتصادي، أو بالبعد العائلي، أو بمفهوم الصداقة، أو الحب، فمن أنا في المجتمع وبين الناس؟ وللقياس هم الناس. ليجد البصمة التي يخترنّها ديناً أو علماً أو فناً أو أدباً أو سياسة أو بحثاً عن مال أو شهرة أو سلطة أو مرتبة في وظيفة أو عن حبٍ خيالي أو عن أصدقاء أفلاطون، وربما الأكثر سعادة من جمع بعضاً من كل باب، والمحروم منها من توهم السعادة فعل انفراد حتى وهو يلهث أمام كل باب، والأصل يبقى البصمة في المجتمع، ومن أنا فيه، لتتفتح لكل على هواه حوله ورود البسمات.